

## المبحث الثاني :

الجهاد في سبيل الله تعالى، ونقد موقف (راند) منه

## المبحث الثاني

### الجهاد في سبيل الله تعالى، ونقد موقف (راند) منه

تناولت (راند) الجهاد في سبيل الله تعالى ضمن تناولها لقضايا (الإرهاب)، وقضايا الجماعات المسلحة. وكثرت إصداراتها في هذا الشأن بعد أحداث ١١ / سبتمبر. يشير كبير مستشاري (راند) (جنكينز) عام ١٤٢٧هـ إلى أن هجمات ١١ / سبتمبر دفعت إلى صدور سيل من الكتب بشأن الإرهاب، والجهاد، وتنظيم القاعدة، بعضها تناول ذلك بسطحية وعلى عجل من أجل التسويق، وبعضها كان انفعاليًا للغاية<sup>(١)</sup>. ويتضمن هذا المبحث أربعة مطالب تتناول مفهوم الجهاد وفضله في الشريعة الإسلامية؛ ومفهوم الجهاد وأهدافه لدى (راند)؛ ونعوته عندها؛ وموقفها منه، مع نقد ضمني لذلك.

## المطلب الأول: مفهوم الجهاد وفضله في الشريعة الإسلامية:

الجهاد في اللغة: من الجُهد والجَهد: وهو الطاقة، والمشقة، وبلوغ الغاية<sup>(١)</sup>.

والجهاد في الشرع: «بذل الجهد في قتال الكفار»<sup>(٢)</sup>.

الأدلة على فضائل الجهاد وأهميته في الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر، وهو أفضل ما تطوع به الإنسان، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة، ومن التطوع بالصلاة والصيام<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾<sup>(٥)</sup>. وقال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»<sup>(٧)</sup>.

فالجهاد مرتبته في الإسلام عظيمة، والقياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل؛ لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخمال الكفر ودحضه، فالعبادات على

(١) الصحاح ٢/٤٦٠؛ والقاموس المحيط، ص ٣٥١، مادة: (جهد)، كلاهما.

(٢) فتح الباري ٥/٦.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/٣٥٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٥) سورة الأنفال، من الآية: ٦٥.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٤١.

(٧) الترمذي وقال: "حسن صحيح" ١٣/٥، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ح ٢٦١٦؛

وابن ماجه، السنن، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، (دمشق،

الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ)، أبواب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، ٥/١١٧، ح ٣٩٧٣.

قسمين: منها ما هو مقصود لنفسه، ومنها ما هو وسيلة إلى غيره، وفضيلة الوسيلة بحسب فضيلة المتوسل إليه<sup>(١)</sup>.

لقد "وضع الجهاد المسلمين أمام واجب مفروض هو الدعوة إلى الله وقتال من يصد الدعوة أو يقف في طريقها. وفي ذلك دعامة مؤثرة؛ لأن الحق إذا لم تسنده القوة تغلب الباطل عليه، بل إن الحق القوي يجعل الناس ينظرون إليه بفهم وإعجاب"<sup>(٢)</sup>.

"وقد عني الإسلام بالجهاد عناية بالغة؛ لأنه السبيل لوصول دعوة الإسلام إلى الناس أجمعين، انطلاقاً من كونها دعوة عامة لكل الناس في كل زمان ومكان حيثما وجد فيه إنسان، فهي دعوة عالمية لكل البشر"<sup>(٣)</sup>.

والجهاد ضرورة تقتضيها حاجة الإنسان وإن لم يدركها هذا الإنسان . وهو في الإسلام ليس كأي قتال عُرف من خلال الحروب البشرية بل هو قتال رحمة وإنقاذ<sup>(٤)</sup>، فأهدافه سامية، تسعى لتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت)، ١٣٢/١-١٣٣.

(٢) الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، ص ٢٦٢.

(٣) الضوابط الشرعية للجهاد في الإسلام، د.علي بن عبد الرحمن الطيار، سلسلة دراسات في العلاقات الدولية حول الحرب والسلم (٩)، (الرياض، المؤلف، ١٤٣٢هـ)، ص ٤٧.

(٤) الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع، صالح بن سعد اللحيدان، ط ٥، (الرياض، دار الصميعة، ١٤١٨هـ)، ص ٧٧.

## المطلب الثاني : مفهوم الجهاد وأهدافه لدى (راند):

عندما تعرض (راند) مفهوم الجهاد وبعض أحكامه كما يعرضها علماء الإسلام فإنها لا تخرج عن الصواب، لكن عندما تتدخل في العرض والمفهوم، أو تنقله عن غير أهله المختصين فيه، فإنها تبدأ بمجانبة الصواب.

يُلاحظ ذلك في مجمل ما عرضه خبير (راند) السفير (ديفيد آرون) في كتابه (بعباراتهم: أصوات الجهاد)، وإن كان قد خلط بين عبارات العلماء، وعبارات غيرهم من قيادات بعض الجماعات المسلحة، ممن كانت لهم آراء خاطئة<sup>(١)</sup>.

يقول (آرون) -وهو من كلامه-: «الترجمة الحرفية للجهاد: أنه الكفاح في سبيل الله. القرآن، والحديث، والسنة<sup>(٢)</sup>، جميعها تشير إلى أن الجهاد هو الكفاح المسلح. وللجهاد أيضاً معنى ينطوي على التأمل والدعوة<sup>(٣)</sup>». ولعله يعني: جهاد النفس وجهاد الكلمة. فهكذا يجري التعريف في سياق لا يبعد عن المفهوم الإسلامي الصحيح. لكن عندما تتدخل (راند) في المفهوم، أو تنقله عن غير أهله فإنه يحدث الخلل. ومثاله: قول دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١): «لم تُستخدم عبارة (الجهاد) في القرآن قط لمعنى القتال، وإنما تشير إلى الصراع الداخلي للشخص<sup>(٤)</sup>». ولقد تطور معنى الجهاد بصفة صراع عسكري في القرن الأول من الإسلام؛ لإضفاء الشرعية على توسيع رقعة الدولة الإسلامية<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر الفصل الرابع من كتابه: In Their Own Words: Voices of Jihad. P. 73-114

(٢) هكذا: "The Qur'an, Hadith, and Sunnah". ومن المعلوم أن الحديث والسنة شيء واحد. فهذا دليل على ندرة المستشرقين العالمين بعلوم الشرق في الاستشراق الحديث.

(٣) In Their Own Words: Voices of Jihad. P. 6

(٤) أي: مجاهدة النفس.

(٥) The Muslim World after 9/11. P. 20 ، ويظهر أنها تنقل -كما في الحاشية: 18- عن:

James Turner Johnson, "Jihad and Just War," First Things, 124 (June/July 2002), P.12-14; Patricia.

Martinez, "Deconstructing Jihad," in Ramakrishna and Tan, Beyond Bali (2003), P.59-79.

إن الادعاء بأن الجهاد لم يأت في القرآن الكريم بمعنى القتال، فيه تحجٍ ظاهر، يخالف المنهجية العلمية والموضوعية اللتين تدّعيهما (راند) في مناهج أبحاثها. وهو مثال من أمثلة التخلي عن الموضوعية لإرضاء العميل وكسبه. فأين ما تدعيه (راند) من نفيها أن تتأثر بمصالح العميل؟

فإن علماء المسلمين في القديم والحديث عُنوا عناية فائقة بدراسة مدلولات ألفاظ القرآن الكريم، وتوصلوا إلى أن لفظ (الجهاد) في القرآن الكريم «على ثلاثة أوجه: الجهاد بالقول، والقتال بالسلاح، والجهاد بالعمل»<sup>(١)</sup> وهو جهاد النفس.

ولقد علم بعض خبراء (راند) منزلة القرآن الكريم في نفوس المسلمين، فحاولوا أن يقوموا بإسقاط منزلة الجهاد والخط منها بإصدار حكم عام يسندونه إلى القرآن الكريم. فضلاً عن أنهم قصّروا الحكم انطلاقاً من لفظ (الجهاد) في القرآن، وأغفلوا الآيات التي تدخل في معناه، وتحمل دلالة صريحة وقاطعة بالقتال، مثل: ﴿فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>. ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>(٣)</sup>. ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾<sup>(٤)</sup>. ﴿فَإِذَا

(١) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها، الحسين بن محمد الدماغي، تحقيق فاطمة يوسف الحمي، (دمشق، مكتبة الفارابي، ١٤١٩هـ)، ص ٢٢٠.

والمراجع التالية - مع المرجع السابق - تثبت بعض العلماء والباحثين الذين توصلوا إلى هذه النتيجة في القديم والحديث:

الوجوه والنظائر، الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق محمد عثمان، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٨هـ)، ص ١٦٥-١٦٦؛ ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم الراضي، ط ٣، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ)، ص ٢٣١-٢٣٢؛ وآيات الجهاد في القرآن الكريم: دراسة موضوعية وتاريخية وبيانية، د. كامل سلامة الدقس، (الكويت، دار البيان، ١٣٩٢هـ)، ص ٤٩٧؛ والوجوه والنظائر في القرآن الكريم: دراسة موازنة، د. سليمان بن صالح القرعاوي، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ)، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ١٦٧.

(٣) سورة التوبة، من الآية: ٢٩.

(٤) سورة التوبة، من الآية: ١٢٣.

لَقَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرَبَ الرِّقَابَ حَتَّى إِذَا أَخْنَمْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ﴿١﴾ . ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ ﴿٢﴾ . ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ ﴿٣﴾ . وغيرها من الآيات في هذه المعاني. وأغفلوا كذلك الأحاديث الواردة في شأن الجهاد، وأغفلوا السيرة النبوية فيه، التي هي تفسير عملي لمعاني كتاب الله تعالى. فالأحكام الشرعية في الإسلام لا تؤخذ من الكلمة الواحدة، ولا تؤخذ من القرآن وحده، بل تؤخذ من مجمل الأدلة المعتبرة شرعاً.

وهذا يرد على مدلول ما قالته دراسته (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) من أن أهل القرن الأول حَمَلُوا لفظ (الجهاد) في القرآن معنى لا يحتمله، وابتدعوا دلالاته على القتال لأسباب سياسية توسعية. فماذا يقولون عن الآيات الآمرة بالجهاد بلفظ (القتال)؟

وكلامهم عن الأهداف التوسعية، هو التفسير الماركسي للتاريخ والحركة البشرية، الذي يؤكد على أن للسعي البشري بعداً واحداً هو البعد الاقتصادي المادي؛ فينظرون إلى أن الدولة الإسلامية دولة استعمارية، هدفها الاستيلاء على خيرات الأمم ومقدراتها<sup>(٤)</sup>. لكن النبي ﷺ أسقط كل قهمة من هذا القبيل بجوامع من كلمه المبين، حيث جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة محمد، من الآية: ٤.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ٢١٦.

(٣) سورة الأنفال، من الآية: ٦٥.

(٤) الأدمغة المفحخة، زين العابدين الركابي، (الرياض، دار غيناء للنشر، ١٤٢٤هـ)، ص ٣٠-٣١. وليس لكلامه ارتباط ب(راند).

(٥) متفق عليه: البخاري ٢٧٢/٣، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ح ٢٨١٠؛ ومسلم ١٥١٢/٣-١٥١٣، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، ح ١٩٠٤.

«إن مشروعية الجهاد في الإسلام لغايات نبيلة، وتاريخ الفاتحين من المسلمين تاريخ مشرف، ونزاهة القائد والجندي مشهورة. إنهم يقاتلون لإعلاء كلمة الله بتحرير الشعوب من المستعبدين لها، ولم يقاتلوا لابتزاز الأموال، ولا للذات، ولا للألقاب العسكرية»<sup>(١)</sup>.

ويقول (آرون): «الحركات الجهادية خيالية، تسعى إلى إقامة الدولة الإسلامية الأصولية في جميع أنحاء العالم. ويعتقد أتباعها أن هذا لا يمكن تحقيقه إلا من خلال العنف»<sup>(٢)</sup>.

وتقول دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١): «بإعطاء مفهوم الجهاد المسلح مكانة مهمة في النظام العقائدي؛ عاد الإسلاميون المتطرفون إلى المفاهيم اللاهوتية التي انهارت في أوروبا بعد الحروب الدينية في القرن السابع عشر. وعلى الرغم من أن كثيراً من العلماء لم يجدوا شيئاً في المعتقدات الأساسية للإسلام تجعله عدوانياً أكبر من أي دين آخر، إلا أن واجب الحرب الدينية الذي تبناه المتطرفون كان دون شك المحرك الرئيس للعنف»<sup>(٣)</sup>.

ليست غاية المجاهدين خيالية، بل هي واقعية تنطلق من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ؛ فإن غاية الجهاد في سبيل الله تعالى: إسلام أهل الأرض جميعهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَنِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، في هذه الآية «الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هي ألا تكون فتنة وأن يكون الدين لله، وهو الدخول في الإسلام، والخروج عن سائر الأديان المخالفة له، فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحل قتاله»<sup>(٥)</sup>.

(١) للحق والحقيقة من كلام خير الخليقة، عبد الرحمن بن محمد الدوسري، (جدة، دار المحمدي، ١٤١٥هـ)، ص ١٣٨؛ وينظر: الضوابط الشرعية للجهاد في الإسلام، ص ١٥٢.

(٢) In Their Own Words: Voices of Jihad. P. 4

(٣) The Muslim World after 9/11. P. 20

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

(٥) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ط ٢، (القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، ١٣٨٣هـ)، ١/١٩١؛ وينظر: جامع البيان ١٣/٥٤٣-٥٤٤.



وضَعُفُ المسلمين في تحقيق هذه الغاية - بعد الرعيل الأول - لا يجعلها خيالية، وحصول خلل في مفهوم الجهاد لدى بعض الفئات لا يحرمها من الواقعية.

وزَعُمُ (آرون) أن المجاهدين يعتقدون أن نشر الإسلام الصحيح لا يمكن تحقيقه إلا من خلال العنف، زعم غير صحيح، فلو قصره على جماعات محددة فقد يصح، أما من حيث العموم فلا يصح؛ فإنَّ «الهدف السامي للجهاد في الإسلام أنه لا قتال فيه إلا إذا اضطرَّ إليه»<sup>(١)</sup>؛ وقررت شريعة الإسلام أنه لا يلجأ للقتال ابتداءً، فقد كان رسول الله ﷺ إذا أَمَرَ أميرًا على جيش، أو سرية، أوصاه ثم قال: «وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيُّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ... فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلِّهُمْ الْجَزِيَّةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مَا قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا حَتَّى دَعَاهُمْ»<sup>(٣)</sup>. قال الماوردي رحمه الله - في شأن الأمير على الجهاد -: «فإن بدأ بقتالهم قبل دعائهم إلى الإسلام وإنذارهم بالحجة، وَقَتَلَهُمْ غَرَّةً وَبَيَاتًا ضَمَنَ دِيَاتَ نفوسهم»<sup>(٤)</sup>، هـ.

«من يزعم بأن الجهاد في سبيل الله هو استخدام القوة المسلحة لإكراه الناس على الدخول في الإسلام، فهذا أمر ترفضه العقول السليمة، وهو كذب على الإسلام؛ ذلك أن العقيدة الإسلامية لا يمكن أن تستقر في نفوس البشر ما لم تقتنع بها النفوس دون ضغط أو إكراه، فلا يكون القتال إلا عند الضرورة لحماية الدعوة الإسلامية وإزالة العراقيل التي تحول دون سماع كلمة الحق وإيصالها إلى الخلق كافة»<sup>(٥)</sup>.

(١) الضوابط الشرعية للجهاد في الإسلام، ص ٦.

(٢) مسلم ١٣٥٧/٣، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث...، ح ١٧٣١.

(٣) الحاكم وقال: "هذا حديث صحيح من حديث الثوري، ولم يخرجاه، وقد احتج مسلم بأبي نجیح"، ووافقه الذهبي. المستدرک ٦١/١، كتاب الإيمان، ح ٣٧.

(٤) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علي بن محمد الماوردي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ)، ص ٤٦.

(٥) الضوابط الشرعية للجهاد في الإسلام، ص ١٦.

«ومن ثم فإن الجهاد بمختلف صورته لا يعني إكراه الناس على اعتناق دين الإسلام بل هو الوسيلة لإعلاء كلمة الله وفي سبيل الله، وأن القائمين به لا يسعون إلى منافع شخصية، ولذا فإن القرآن الكريم قد أثر كلمة الجهاد على كلمة الحرب وقيدها بأنها في سبيل الله؛ لكي يقر في الأذهان أن الجهاد في الإسلام من أجل تلك المبادئ السامية الشريفة»<sup>(١)</sup>.

وتقول دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) في اعتمادها على مرجعين: «ومن المهم أن نشير إلى أن تفسير الجهاد يعارضه كثير من المسلمين، الذين يعتقدون أن (الجهاد الأعظم) يعني مجاهدة النفس من أجل الأفضل، بينما الجهاد المسلح في ميدان القتال هو (الجهاد الأدنى). وترفض المؤسسة الدينية السنية المتمثلة بجامعة الأزهر - المؤسسة الدينية الجامعية الأقدم والأعلى مكانة - مفهوم أن الحرب هي الوسيلة المناسبة للوفاء بواجب نشر الإسلام. وباستثناءات قليلة لا يتعامل الأزهر مع الجهاد المسلح بأنه فريضة على المسلمين في العصر الحديث، فهو يقلل من مكانة الصراع المسلح (القتال) بينما يركز على الواجب غير المسلح للجهاد ضد الشرور التي تتمثل في الجهل والفقر والمرض ونحوها»<sup>(٢)</sup>. هـ.

هذا الكلام يصب في سياق محاولة إضعاف منزلة الجهاد في سبيل الله في نفوس الناس، والتزهيد فيه، بإبراز أن جهاد النفس أعظم من القتال في سبيل الله، وهي مقولة خطأ، قال ابن تيمية رحمه الله: «وأما الحديث الذي يرويه بعضهم، أنه قال في غزوة تبوك: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)، فلا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله. وجهاد الكفار من أعظم الأعمال، بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان. قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق، ص ٤٨.

(٢) The Muslim World after 9/11. P. 20-21

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٤) مجموع الفتاوى ١١/١٩٧.

ومن إصدارات (راند) ما يترجم معنى الجهاد إلى (holy war) «الحرب المقدسة»<sup>(١)</sup>. ويقول (آرون): «مفهوم الجهاد بأنه (الحرب المقدسة) يعود إلى بدايات الإسلام»<sup>(٢)</sup>. هـ.

ليس في الإسلام حرب مقدسة، والإسلام لا يقدس الحرب لذاتها، ولا يقدس القتل لذاته سواء في الجهاد أم القصاص والحدود والتعزير؛ لكنهما يكونان شعيرة من شعائر الإسلام العظيمة لما يحققان من الغايات. وجماع الغايات: تحقيق سعادة الناس أجمعين في الدنيا والآخرة، بإخراجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، وبحفظ ما تصلح به معاشهم.

وقد قررت الشريعة الإسلامية أنه يسبق حرب الكفار أمران: طلب الدخول في دين الإسلام، أو دفع الجزية، فإذا أبى القوم الأمرين، لم يسع القائد المسلم إلا قتالهم، فلو كانت الحرب مقدسة لكان طلب قتالهم أول الأمور الثلاثة وليس آخرها.

والسلم مرغّب فيه في دين الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾<sup>(٣)</sup>. وقد فعل هذا النبي ﷺ عام الحديبية، فسلم قريشاً وصالحهم على وضع الحرب عشر سنين<sup>(٤)</sup>.

ويقول (جنكينز): «فيما يتعلق بتنظيم الجهاد، يعد القتال نوعاً من الإلزام الديني، حيث تنبعث القوة في المعركة من خلال الوازع الديني، وليس بكثرة الأسلحة. وتعد المعركة فرصة لعرض هذه المعتقدات من خلال الشجاعة والتضحية، حيث تكون البطولة أكثر أهمية من حصيلة المعركة وتكون مكافأة كل من يضحى بكل شيء ليس فقط للتمجيد ولكن للوصول إلى الجنة، وبالتالي تكون فائدة القتال لتنظيم الجهاد فائدة فردية وخلقية»<sup>(٥)</sup>.

(١) A Sense of Siege. P. 9 ؛

War by Other Means: building complete and balanced capabilities for counterinsurgency, David C. Gompert and John Gordon IV, With others, (Santa Monica, Rand, 2008).P. xxiii, 347, 348.

In Their Own Words: Voices of Jihad. P. 1, 37.

(٢) In Their Own Words: Voices of Jihad. P. 37

(٣) سورة الأنفال، من الآية: ٦١.

(٤) ينظر: سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق عزت عبيد دعاس، (حمص، دار

الحديث، د.ت)، كتاب الجهاد، باب في صلح العدو، ٢١٠/٣، ح ٢٧٦٦.

(٥) Three Years After. P. 5

ويظهر في وصف خبير (راند) هذا غياب الهدف الأساس من الجهاد، وهو نشر الإسلام، وهداية الناس، وحماية بيضة المسلمين. فجعل الهدف فردياً، وأهمّل الهدف الأساس الذي هو المقصد الأصلي من تشريع الجهاد في سبيل الله تعالى.

### المطلب الثالث : نعت (راند) للجهاد:

تصف بعض إصدارات (راند) الجهاد بلفظه الشرعي، وكذلك المجاهدين أو الجهاديين، والجماعات أو الحركات الجهادية.

كما تصف الجهاد بأوصاف منفرة، مثل (الإرهاب)، و(التمرد)، دون تمييز بين الإرهاب الحقيقي والجهاد، وبين التمرد وجهاد الدفع.

وليس هناك تفريق علمي يمكن أن يستند إليه في إطلاقهم الجهاد تارة، وإطلاقهم الأوصاف المنفرة تارة، ودرجت عليه الإصدارات قبل أحداث ١١/سبتمبر وبعدها.

وليس معنى هذا أن هناك إصدارات تستخدم نعت الجهاد، وأخرى لا تستخدمه، بل الأغلب يقوم بالخلط بينهما في الإصدار الواحد وفي سياق واحد، وليس في سياقين مختلفين.

وهذه أمثلة من نصوص عباراتهم المذكورة آنفًا عن لفظ الجهاد ومشتقاته:

"The mujahedin"<sup>(1)</sup>. "Jihadis"<sup>(2)</sup>. "The Jihadists"<sup>(3)</sup>. "The jihadi movement"<sup>(4)</sup>. "The Jihadist movement"<sup>(5)</sup>. "Jihadist groups"<sup>(6)</sup>.

ولا ينكر أحد وجود قلة قليلة بين المسلمين غلت في تطبيق مفهوم الجهاد، فخرجت به عن مفهومه الشرعي إلى الغلو، سواء في التعامل مع الغرب، أم التعامل مع المعاهدين والمستأمنين، أم التعامل مع حكام المسلمين. لكن وجود هذه الفئة القليلة لا يُحوّل خبراء (راند) بأن يصفوا الجهاد عامة بأنه إرهاب أو تمرد أو غيرهما. لا سيما أنهم يدركون حجم هذه القلة، فقد أشارت دراسة (الحرب بوسائل أخرى) المنشورة عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، إلى أن التقديرات تشير إلى وجود أكثر من نصف مليار مسلم متعاطف مع الجهاد، ونحو مئتي ألف شخص انضموا إلى الجماعات الجهادية، وبضعة آلاف فقط قاموا بارتكاب أعمال إرهابية<sup>(٧)</sup>.

(١) Unconquerable Nation. P. 63

(٢) War and Escalation in South Asia. P. 69

(٣) Combating Terrorism: The 9/11 Commission Recommendations and the National Strategies, John V. Parachini, (Testimony), (Santa Monica, Rand, 2004). P. 9.

Unconquerable Nation.P.23.

(٤) War and Escalation in South Asia. P. 1

(٥) Combating Terrorism: The 9/11 Commission Recommendations. P. 1, 2

(٦) No Path to Glory: Deterring Homegrown Terrorism, (Testimony), Brian Michael Jenkins, (Santa Monica, Rand, May 2010). P. 1.

(٧) War by Other Means. P. 164

وتشير الفقرتان التاليتان إلى أبرز أوصاف خبراء (راند) المنفرة عن الجهاد:

#### ١- التمرد ( Insurgency ) ، والتمرد الإسلامي ( Islamic insurgency ):

يعرّف خبير (راند) (سيث جونز) (التمرد) - في كتاب له نشره خارج (راند) - بأنه: «الحملة السياسية والعسكرية من قبل أطراف مدنية تسعى إلى إسقاط الحكومة أو الانفصال عن البلد، من خلال استخدام استراتيجيات وتكتيكات غير تقليدية، وتقليدية في بعض الأحيان»<sup>(١)</sup>. ولم يبين حال هذه الحكومة هل هي شرعية أم حكومة احتلال واستعمار.

وقد استخدمت بعض دراسات (راند) التمرد لوصف جهاد الدفع والمقاومة، فإذا هاجم العدو الكافر بلدًا مسلمًا ثم قام المسلمون بجهاد العدو الغازي، فإن الباحثين الغربيين يطلقون عليهم (متمردين)<sup>(٢)</sup> وليسوا مجاهدين. وهذا نوع من أنواع تضييع الحقوق بسلب الدولة ما يريد الغازي سلبه ومحاولة منعها من الدفاع والمقاومة بسلبه أيضًا اسمهما الصحيح (الجهاد).

فالفرنسيان اللذين كتبّا لـ(راند) في العقد الثاني من نشأة (راند)، بشأن الاستعمار الفرنسي للجزائر، لم يوردا لفظ الجهاد البتة، بينما حشدا ألفاظ (التمرد) ومشتقاته، و(الإرهاب) ومشتقاته، و(التطرف) (radical, extreme) ومشتقاته<sup>(٣)</sup>.

وعلى مثلهما درج بعض خبراء (راند) مع الاستعمار الأمريكي الحديث، باحتلال أفغانستان<sup>(٤)</sup> والعراق<sup>(٥)</sup> وتنصيب حاكم أمريكي فيه. ومثل ذلك في وصف الجهاد في فلسطيني<sup>(٦)</sup>.

(١) IN THE GRAVEYARD OF EMPIRES, SETH G. JONES, ( New York, w.w. Norton & Company, Inc , 2009-2010). P. xxiii.

(٢) War by Other Means. P. xxxvii

(٣) Pacification in Algeria, 1956-1958

Insurgency and counterinsurgency in Algeria, Constantin Melnik, (Santa Monica, Rand, 1964).

(٤) Victory Has a Thousand Fathers: Sources of Success in Counterinsurgency, Christopher Paul, Colin P. Clarke, Beth Grill, (Santa Monica, Rand, 2010). P. iii.

Subversion and Insurgency, William Rosenau, (Santa Monica, Rand, 2007). P. iii.

War by Other Means. P. vi, xxx.

(٥) War by Other Means. P. vi, xxvii ؛ والمرجعان الآخريان السابقان في الحاشية السابقة، الموضوعان الموضعان نفسيهما.

(٦) Understanding Proto-Insurgencies. P. 2, 17

٢- (الإرهاب)، و(الإرهاب الإسلامي)، و(الإرهاب الجهادي)، و(العنف الجهادي):  
كما استخدم وصف (الإرهاب) للتضليل عن إرادة الغرب عداً الإسلام، جرى أيضاً  
وصف الجهاد بـ(الإرهاب)، و(الإرهاب الإسلامي)، و(الإرهاب الجهادي)، (العنف الجهادي)؛  
للتضليل عن هجومهم على الإسلام والمدافعين عنه؛ وللتغيير من الجهاد كذلك. وهذه أمثلة من  
عباراتهم:

"Islamist terrorism"<sup>(1)</sup>. "Jihadist terrorism"<sup>(2)</sup>. "jihadi terrorism"<sup>(3)</sup>. "The jihadist terrorists"<sup>(4)</sup>. "Jihadist violence"<sup>(5)</sup>.

فلا عجب أن يرفض المتنفذون في الشؤون الدولية في العالم تعريف (الإرهاب)؛ ليُدرجوا  
تحت ما يشاؤون من اتهامات يلصقونها بالمسلمين، ومنها: اتهام مصطلحات الإسلام الشرعية  
كالجهاد، الذي يُعلي كلمة الله ويرفع الفتنة من الأرض بأنه إرهاب. الجهاد كما هو معلوم:  
شريعة محكمة وحق ثابت للمسلمين، له أحكامه وآدابه وشروطه ومقاصده، ولا علاقة له  
بالمصطلحات الحديثة التي خدعت المسلمين من مثل مصطلح الإرهاب ونحوه. إن مصطلح  
الجهاد منضبط بضوابط شرعية ومقاصد محددة؛ ولهذا بينه العلماء وفصلوا في أحكامه، بخلاف  
الإرهاب الذي يرفض المتنفذون أن يضبطوا حدوده وتعريفه<sup>(٦)</sup>.

وينتقلون من تشويه اسم الجهاد إلى تشويه جوهره أيضاً، فقد أشارت دراسة : (الحرب  
بوسائل أخرى): إلى أن من مفاتيح مكافحة الجهاد تشويه سمعته<sup>(٧)</sup>؛ وذلك من خلال تشويه

(١) Combating Terrorism: The 9/11 Commission Recommendations. P. 13

(٢) المرجع السابق: P. 9

(٣) In Their Own Words: Voices of Jihad. P. 8

(٤) Unconquerable Nation. P. 60

(٥) Combating Terrorism: The 9/11 Commission Recommendations. P. 10

(٦) موقف أهل السنة والجماعة من المصطلحات الحادثة ودلالاتها، د.عابد بن محمد السفياي، (الرياض،

(الرياض، دار طيبة، ١٤٢٧هـ)، ص ٧٤-٧٥.

(٧) War by Other Means. P. 69

بعض ما يقوم به المجاهدون من أعمال، سواء كانت صحيحة أم ملفقة، أم افتعلها غيرهم باسمهم<sup>(١)</sup>.

وفيما يظهر أن بعض باحثي (راند) يدركون أن أوصاف تشويه الجهاد لن تُجدي النفع المطلوب. تقول دراسة: (الحرب بوسائل أخرى): جوهر المشكلة - في السياق الحالي -: أن استخدام القوة العسكرية الغربية في وسط السكان المسلمين قد يضيف نوعاً من المصادقية للدعوة الجهادية في مقاومة ما يعدونه تاريخاً طويلاً من العدوان الغربي ذي الدوافع الدينية ضد الإسلام<sup>(٢)</sup>. هـ.

إنَّ قضية تشويه الجهاد والمجاهدين ليست وليدة العصر، وليست ناتجة عن أحداث ١١/سبتمبر، بل هي منهج الاستعمار قديماً في احتلاله البلدان الإسلامية، فـ "من أعظم ما شوّهه الاستعمار من حقائق الإسلام وتاريخه: تشويههم لمعنى الجهاد في الإسلام، وللأغراض التي توخاها الإسلام في فتوحاته، وللأهداف التي كان يسعى إليها"<sup>(٣)</sup> المجاهدون.

وقد يستعيد الاستعمار الحديث عبارات الاستعمار السابق وقضاياه، في تشويهه الجهاد، وقد يضيف إليها ويزيد عليها.

وكما دأب الاستعمار على تشويه الجهاد، فقد دأب الاستشراق القديم أيضاً على ذلك؛ فهو خادم للاستعمار وممهد له.

فقد غُني المستشرقون بأمر الجهاد، وتناولوه كثيراً، وأثاروا حوله الافتراضات والشبه، وحاولوا تشويهه، وتشويه غاياته وأهدافه<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: Unfolding the Future of the Long War. P. 104 ؛

Understanding Proto-Insurgencies. P. 27.

(٢) War by Other Means. P. 63

(٣) "من تشويه الاستعمار لحقائق الإسلام تشويهه لمعنى الجهاد"، د. مصطفى السباعي، حضارة الإسلام، دمشق، مج ٧، ع ٩٤، ١١/١٣٨٧هـ، ص ١٢.

(٤) "الجهاد بين عقيدة المسلمين وشُبه المستشرقين"، د. العوض عبد الهادي العطا، مجلة الجامعة الإسلامية، ع ٦٧-٦٨، رجب-ذو الحجة/ ١٤٠٥هـ، ص ٨٢.



## المطلب الرابع : موقف (راند) من الجهاد في سبيل الله:

لا شك أن من يسعى إلى تشويه أمر بكافة الوسائل والسبل، ويصفه بالألقاب المنفرة، أنه يقف منه موقفًا معاديًا.

يقول (ديفيد آرون) في كتابه (بعباراتهم: أصوات الجهاد): "واجه الغرب في القرن العشرين ثلاث حركات ثورية ثموية: النازية<sup>(١)</sup>، والشيوعية<sup>(٢)</sup>، والفاشية<sup>(٣)</sup>. ويتعرض الآن لهجوم من هذا القبيل من الحركة الرابعة، وهم أعضاء يعملون تحت مسميات عديدة: الإرهابيون أو المتطرفون الإسلاميون، والسلفيون المقاتلون، والفاشيون الإسلاميون<sup>(٤)</sup>، والجهاديون، على سبيل المثال لا الحصر"<sup>(٥)</sup>.

وهناك دعوات لدى (راند) بمنع نمو السلفية الجهادية في مختلف المجالات. تقول دراسة (بسط مستقبل الحرب الطويلة): "قد تختار الولايات المتحدة الانخراط في مزيد من مهام حفظ

(١) النازية: نظرية (هتلر) وحزبه القومي الاشتراكي، وقد راجت في ألمانيا بصورة منقطعة النظير. موسوعة السياسة ٥٤٥/٦-٥٤٦.

(٢) الشيوعية: مجموعة أفكار وعقائد ورؤى اشتراكية ثورية ماركسية، تنادي بضرورة الإطاحة بالنظام الرأسمالي، وإقامة مجتمع المساواة والعدل في إطار أممي، مركّزاً على الملكية العامة لوسائل الإنتاج. موسوعة السياسة ٥٣٤/٣.

(٣) الفاشية: حركة سياسية أسسها (بنيتو موسوليني) في إيطاليا عام ١٩٣٧هـ/١٩١٩م، وصارت هي النظام السياسي فيها. وتُعد مناقضة للديمقراطية والاشتراكية. القاموس السياسي، ص ٨٤٩-٨٥٠؛ وموسوعة السياسة ٤٤٩/٤.

والفاشية بمعناها العام: "وسيلة لتنظيم المجتمع الذي تحكمه حكومة استبدادية، تتحكم في حياة الناس ولا تسمح لهم بالاختلاف مع الحكومة". معجم ويبستر:

<http://www.merriam-webster.com/dictionary/fascists>

(٤) ليس في الإسلام فاشية، ولم ترد نسبتها إلى الإسلام في أشهر قواميس اللغة الإنجليزية، بل هذا جزء من حرب المصطلحات، استُخدم هذا الإطلاق الرئيس الأمريكي بعد ١١/سبتمبر؛ للتشويه، ولتأجيج الرأي العام الغربي ضد العالم الإسلامي، وكسب تأييده للحرب العالمية على العالم الإسلامي.

السلام؛ لمنع نمو السلفية الجهادية في مختلف المجالات، وقمع الجماعات الإرهابية الأخرى<sup>(١)</sup>. وتجعل الدراسة نفسها (السلفية الجهادية) من الخصوم الأساسيين للولايات المتحدة في حربها الطويلة، حيث تبدأ هذه الحرب مع الذين هاجموا الولايات المتحدة في ١١/سبتمبر/٢٠٠١م، ولا تقف عندهم، بل هناك أكثر من مجرد مجموعة إرهابية معينة. ثم تذكر (السلفية الجهادية). وتذكر أن السلفيين بعامة ليسوا شيئاً واحداً، بل هم مختلفون، وبالتالي تكون (السلفية الجهادية) ليست شيئاً واحداً، بل هي مزيج متنوع<sup>(٢)</sup>.

وتقول: «قام البعض [من المسؤولين الأمريكيين] بوصف (الحرب الطويلة) بصفتها ملحمة نضال ضد خصوم مصممين على تكوين عالم اسلامي موحد ليستأصل سيطرة العالم الغربي... كما أن هناك آخرون ينظرون إليها بوصفها نزاعاً يتطلب مجموعات تكتيكية متخصصة تكون من قوات مدربة تدريباً جيداً تتحول في العالم لاصطياد الإرهابيين»<sup>(٣)</sup>.

ويقول (جنكينز): «يجب أن يبدأ التقييم بالجهاديين المتأثرين بفكر القاعدة، والذين يظلون التهديد الإرهابي الرئيس للولايات المتحدة»<sup>(٤)</sup>.

وتقول دراسة (الحرب بوسائل أخرى): «لا يمكن أن تكون الولايات المتحدة واثقة من النجاح في مكافحة تزايد التمرد الإسلامي العالمي والمحلي بقدراتها الحالية. إن الاعتماد الكبير على استخدام القوة العسكرية على نطاق واسع في العالم الإسلامي لن تؤدي إلى هزيمة شاملة لهذا التهديد... النجاح يتطلب تعاوناً فاعلاً من الشعوب المسلمة التي يعمل فيها المتمردون الجهاديون. هذا التعاون لا يمكن توليده بالاحتلال العسكري الواسع في العالم الإسلامي. يستخدم العدو الوجود العسكري الأمريكي بصفة ذريعة لكسب التأييد للمقاومة. الولايات المتحدة معرضة لخطر الانجرار إلى دوامة من تنامي عدااء المسلمين والجهاد الدائم»<sup>(٥)</sup>.

(١) Unfolding the Future of the Long War. P. 106

(٢) المرجع السابق: P. 16-17

(٣) نفسه: P. 1

(٤) Unconquerable Nation. P. 23

(٥) War by Other Means. P. Ivi

ويظهر من هذا النص أن هناك دعوة إلى استخدام أساليب الاستعمار البريطاني للهند؛ حيث نجح الاستعمار البريطاني في فصل التعاطف الشعبي مع المجاهدين. فقد توصل باحث تناول الاستعمار في الهند إلى أن «الدعاية كانت أخطر سلاح بثه المستعمرون في العامة، لفصل التلاحم العقدي بينهم وبين المجاهدين»<sup>(١)</sup>.

وكذلك استخدام أساليب الاستعمار الفرنسي للجزائر؛ فقد أشار (ديفيد غالولا) الذي كتب لـ(راند) عن تجربته مع الاستعمار الفرنسي للجزائر، إلى الأهمية الحاسمة للحملات الإعلامية في مكافحة (التمرد)<sup>(٢)</sup>.

ويوافق خبير (راند) (سيث جونز) بعض الباحثين على أن «الفوز في الحرب بوسائل الإعلام في وصف (الإرهابيين) بأنهم مجرمون أهمية خاصة، ويكاد يكون من المستحيل القيام به في مواجهة باستراتيجية عسكرية تقوم على القوة»<sup>(٣)</sup>. فإذا كان يقصد الإرهابيين بتعريفهم الحقيقي فهو أمر مقبول، وعمل الإعلام في هذا المجال من مهامه الرئيسية، وهو من الأعمال الجليلة، لكن إذا أراد بهم المجاهدين في سبيل الله تعالى، الذين يدافعون عن عقيدتهم الإسلامية، ويقاتلون العدو الغازي لدفعه عن أراضيهم، فتسخير الإعلام في هذا أمر مرفوض، وهو من استغلال الإعلام في الدعاية السياسية؛ لتشويه صورة الجهاد الإسلامي، وإضعاف مقاومة المسلمين أمام حملات التغريب، والهيمنة الصليبية.

وهناك دعوة إلى أبعد من ذلك، تستهدف جيلاً من المجاهدين لم يوجد بعد؛ وذلك عن طريق التأثير في المدارس الإسلامية. فقد رأى أحد خبراء (راند) في ورقة إحاطة قدمها أمام لجنة الإصلاح الحكومي في مجلس النواب في الولايات المتحدة عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م: أنه لن

(١) أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية، خادم حسين إلهي بخش، رسالة دكتوراه غير منشورة، (كلية الشريعة، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ)، ص ٣١٦.

(٢) Pacification in Algeria, 1956-1958. P. vi

(٣) Defeating Terrorist Groups, (Testimony), SETH G. JONES, (Santa Monica, Rand, 2008). P. 11.

يتحقق الأمن للولايات المتحدة من الجهاد العالمي بمجرد إلقاء القبض على المجاهدين أو قتلهم؛ فلا بد للولايات المتحدة من العمل على المدى الطويل، بالتركيز على الجيل الجديد من الشباب الذين يدرسون في المدارس الإسلامية في وسط شرق آسيا وجنوبها، والذين ربما يحلون في وقت قريب محل التنظيمات والمعسكرات في أفغانستان. ويؤكد الخبر بأن منع تطور الجيل القادم من المجاهدين هو مهمة حيوية للحد من نطاق الحركة الجهادية العالمية، والتغلب عليها في نهاية المطاف<sup>(١)</sup>. هـ.

يقول د. محمد السلومي: «هذه الحرب المكشوفة ليست حرباً على طالبان أو على ما يسمى بالقاعدة؛ بقدر ما هي حرب على بيئة دينية جهادية قد يتخرج من مدارسها الميدانية العسكرية طلائع جهادية تزعج الغرب الصليبي المتعصب بشكل عام، كما تقض مضاجع الدولة اليهودية بشكل خاص»<sup>(٢)</sup>. هـ.

ينبغي على أمة الإسلام الحذر من مثل ذلك التشويه للجهاد، والمجاهدين، بالصياغات والحجج النفسية والإعلامية والدعائية، وخلط المفاهيم، وقلب حقائقها؛ فإن هذا التشويه جزء من منظومة الحرب الواسعة تجاه الأمة الإسلامية. ولا يسوغ للأمة أن تقبل التشويه لأن فئة من المسلمين قليلة غلت في مفهوم الجهاد وفي تطبيقه، فتجاوزت به مفهومه الشرعي، بل لا بد من البصيرة في التفريق بين مفهوم القلة، والمفهوم الشرعي الذي عليه جمهور المسلمين، وألا تطغى نظرتنا إلى انحراف القلة الغالية فتؤدي إلى قبول الخط من منزلة الجهاد في سبيل الله تعالى. و«حين يعمد أناس إلى تحريف مفهوم الجهاد، فإن الأولوية الناجزة هي: رد المفهوم إلى موضعه الصحيح»<sup>(٣)</sup>. هـ.

إن ثبات منزلة الجهاد في قلوب أفراد الأمة، وفقهها لمفهومه الصحيح، ينبغي أن يستمر على الدوام، وألا يتأثر سلباً ببعض أحوال الواقع السيء في الوقت الراهن، من تعامل فئة قامت

(١) Combating Terrorism: The 9/11 Commission Recommendations. P. 14-15

(٢) القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، د. محمد بن عبد الله السلومي، سلسلة كتاب البيان (٤٦)، ط ٣، (الرياض، مجلة البيان، ١٤٢٥ هـ)، ص ٢٨١.

(٣) الأدمغة المفخخة، ص ٣٣.

بتكفير المسلمين والخروج عليهم، أو بالاعتداء على المستأمنين والمعاهدين، أو بالخلل في مفهوم جهاد الكفار أو تطبيقه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الحلبي رحمه الله<sup>(٢)</sup>: «أبان الله سبحانه أنه لولا دفع الله المشركين بالمؤمنين، وتسليط المؤمنين على دفعهم عن بيضة الإسلام وكسر شوكتهم، وتفريق جمعهم، لغلب الشرك على الأرض، وارتفعت الديانة، فثبت بهذا أن سبب بقاء الدين، واتساع أهله للعبادة، إنما هو الجهاد، وما كان بهذه المنزلة فحقيق أن يكون من أركان الإيمان<sup>(٣)</sup>، وأن يكون المؤمنون من الحرص عليه في أقصى الحدود والنهايات»<sup>(٤)</sup>.

وكان الخلفاء الراشدون عليهم السلام يدركون منزلة الجهاد، ويعلمون خطر التخلي عنه، قال أبو بكر رضي الله عنه - في خطبة توليه الخلافة - عن الجهاد: «لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل»<sup>(٥)</sup>. هذا الإدراك لأهمية الجهاد وخطر تركه جعل الخلفاء عليهم السلام يقومون بحقه ويُعظمونه. وهم في ذلك إنما ينطلقون

(١) سورة الحج، من الآية: ٤٠.

(٢) أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد الحلبي، الفقيه القاضي، رئيس أصحاب الحديث، شيخ الشافعية بما وراء النهر، روى عنه الحاكم وغيره. توفي سنة ٤٠٣ هـ. الوافي بالوفيات ٢١٧/١٢؛ وطبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت)، ٣٣٣-٣٣٤.

(٣) لعل المعنى الذي قصده: أن يكون من شعب الإيمان.

(٤) المنهاج في شعب الإيمان، الحسين بن الحسن الحلبي، تحقيق حلمي محمد فودة، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ)، ٤٦٦/٢.

(٥) تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، د.ن، د.ت)، ٢١٠/٣.

من مشكاة النبوة، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»<sup>(١)</sup>.

وللجهاد أحكام ومقومات ينبغي المحافظة عليها وتعزيزها في الأمة، ومنها: المحافظة على منزلة الجهاد في نفوس الأمة، والرفع من شأنها، لا سيما مع وجود الأطماع الاستعمارية الحديثة. وإذا ضعفت منزلة الجهاد أو انحطت فإن إعادتها إلى مكانها الطبيعي لن تتأتى في وقت قصير، بل قد تتطلب عقوداً.

وقد تكون تجارب بعض الأمم الغازية -عبر التاريخ- تهدف إلى تحطيم الجهاد في نفوس أبناء الأمة؛ حتى يسهل للغزاة احتلال البلاد واستعمارها ربحاً من الزمن. أو أن تكون منزلة الجهاد ضعيفة في نفوس الأمة لعوامل أخرى فيُغري هذا العدو بالهجوم على ديار المسلمين. يشير إلى هذا ابن النحاس رحمه الله<sup>(٢)</sup>، وهو أحد العلماء الذين عاشوا في الشام فترة الهجمات المغولية على الشام أواخر القرن الثامن الهجري، فكان شاهداً على عصره، وأدرك أن هذه الفتنة التي حلت بهم كانت بسبب تعطيل الجهاد، وضعف مكانته في قلوب الناس، فانبرى لاستنهاض همة الناس، يبين لهم منزلة الجهاد في سبيل الله، وألف في ذلك كتاباً مفصلاً، يقول رحمه الله: «ولما رأيت الجهاد في هذا الزمان قد درست آثاره فلا تُرى، وطمست أنواره بين الورى، وأعتم ليلى بعد أن كان مقمراً، وأظلم نهاره بعد أن كان نيراً... وقفلت أبوابه فلا تطرق،

(١) أبو داود ٣/٧٤٠-٧٤١، كتاب البيوع، باب النهي عن العينة، ح ٣٤٦٢. وصححه ابن القطان بطرقه، وصحح ابن حجر طريق الإمام أحمد في مسنده. بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، علي بن محمد بن القطان الكتامي، تحقيق د. الحسين آيت سعيد، (الرياض، دار طيبة، ١٤١٨هـ)، ٢٩٤/٥-٢٩٦، ح ٢٤٨٤؛ وبلوغ المرام من أدلة الأحكام، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق سمير بن أمين الزهري، ط ٧، (الرياض، دار الفلق، ١٤٢٤هـ)، ص ٢٤٧، ح ٨٤٤.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الدمياطي المعروف بابن النحاس، انجفل من دمشق إلى مصر واستوطن دمياط، كان حريصاً على فعل الخير، متواضعاً. من مؤلفاته: (تنبيه الغافلين في معرفة الكبائر والصغائر والمناهي والمنكرات والبدع)، و(المغنم في الورد الأعظم). أكثر المرباطة والجهاد حتى قُتل سنة ٨١٤هـ، ودفن بدمياط. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، (بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت)، ٢٠٣/١.

وأهملت أسبابه فلا ترمق... وامتدت أيدي الكفرة الأذلاء إلى المسلمين فلا تقبض... وخرس لسان النفير إليهم... وأهمل الناس الجهاد كأنهم ليسوا به مخاطبين، فلا نجد إلا من طوى بساط النشاط عنه أو أثقل إلى نعيم الدنيا الزائل رغبة منه، أو تركه جزعاً من القتل وهلعاً، أو أعرض عنه شحاً على الإنفاق وطمعاً، أو جهل ما فيه من الثواب الجزيل، أو رضي بالحياة الدنيا من الآخرة، وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل؛ أحببت أن أوقظ الهمم الرُّقْد، وأنفض العزم المقعد، وألين الأسرار الجامدة، وأبين الأنوار الخامدة، بمؤلف أجمعه في فضل أنواع الجهاد والحض عليه...»<sup>(١)</sup>.

ويقول في خاتمة كتابه: «فلا تنكر أيها الأخ ما بنا من فساد الأحوال، وما إليه أمرنا من النقص آل بعد الكمال، إذ تركنا من الدين شعيرته العظمى، وأهملنا من أمور المشركين ما به كلفنا، وأقبلنا على بناء المساكن والدور، ورغبنا من دار الشرور في كل محذور، فلا يمر بنا الجهاد أبداً على بال»<sup>(٢)</sup>.

وكان ابن النحاس رحمه الله قد أدرك ضعف منزلة الجهاد لدى الأمة قبل الهجمات المغولية بسنوات، فكان يجمع مادة كتابه هذا، ويسأل بعض العلماء عما أُلِف فيه<sup>(٣)</sup>.

(١) مشاريع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام، أحمد بن إبراهيم بن النحاس الدمشقي الدميّاطي، تحقيق إدريس محمد علي ومحمد خالد إسطنبولي، (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٠هـ)، ٧١/١-٧٢.

(٢) المرجع السابق ١٠٨٨/٢.

(٣) ينظر: نفسه ٧٤/١.